حکایات روز

قصص

حكايات روز

رامز رمضان النويصري

دار البيـــان

للنشر والتوزيع والإعلان

حكايات روز

رامز رمضان النويصري

- الطبعة الأولى: **1 / 2019** م

- رقم الإيداع المحلي : **489 / 2018** دار الكتب الوطنية بنغازي

- الرقم الدولي الموحد:

ردمك ISBN 978-9959-37-078-5

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب بنغازي – ليبيا

- جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر:

دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان

بنغـازي - ليبيا

هاتف 061.2232104 - محمول 091.2090770

الإهداء

لها..

ولكل شخوص حكاياتي.

تقديم

الدكتور: الصديق بودوارة المغربي

(يشكل الكلام واحداً من المظاهر الأليفة جداً في حياتنا اليومية بحيث أننا نادراً ما نتوقف عن تعريفه، فهو يبدو طبيعياً عند الإنسان كالمشي تماماً)[1].

هكذا يحاول "سابير" أن يشرح لنا كيف ينجح نص ما في الانسياب سهلاً كالماء، إذ أن طبيعة النجاح تكمن دائماً في سهولة الوصول، وهذا التحدي بالذات هو أصعب امتحانٍ يمكن أن يواجه الكاتب في محاولته لإيصال مضمونه إلى المتلقي.

انطلاقاً من هذه الفكرة، هل يمكن لي أن أتساءل الآن عن نصوص هذه المجموعة التي أبدعها "رامز النويصري" واختار لها اسماً مرتبطاً برمزية لا تخفى على القارئ، وهي رمزية تتعلق

بالوردة وإن اختار لها عباءةً من لغةٍ أخرى تصادف أنها لغة المدينة التي كتب فيها العديد من نصوص هذه المجموعة، بل أنه فصّل منها جملاً بنفس هذه اللغة نجح في أن يجعلها جزءاً أصيلاً من كل المجموعة.

"كل نصوص المجموعة سهلةً كالماء"، عبارةٌ هي الأكثر تلخيصاً لإحساسي بها وأنا أقرأ ما أرسله لي "رامز"، لم تواجهني صعوبة في التوغل، ولا في التنقل من قصة إلى أخرى، والأهم من ذلك، لم تنتصب أمام إحساسي بمتعة المتابعة هاوية تمنعني، أو فراغ يفصلني عنها.

اعتقد أن نسبةً كبيرة من نجاح الكتابة يكمن في كونها تنساب كما يفعل الماء، وإذا خالفت ذلك سيبدو الأمر وكأنك تعالج مشكلة بمجموعةٍ غيرها من المشاكل.

(يا اللي فيِّ تنشد كي الحال.. مازلت انسوق مشواري طويل

انحطوا هنا.. وانقولوا مزال.. انريدوا شي لكن مستحيل).

بيتان من ذهب، لشاعر شعبي ليبي راحل[2] وجدت نفسي استحضر معناهما الرائعين وأنا أقرأ ما يكتبه "رامز" في مجموعته،

ولعل المعنى الذي كان متطابقاً بشكل مدهش، هو الذي دفعني إلى هذه المقارنة التي قد يستغربها البعض كونها بين نص عامي وآخر كُتب بالفصحى، لكني أرى أن المعنى هو دائماً الحاجب، بينما يظل المبنى هو العين، تلك التي لا يحق لها أن تعلو على الحاجب بأي حال.

الاثنان يسوقان "رحيل" قوافلهما، والمشوار طويل، وكلما حط بأحدهما الرحال، تراءى له رحيل آخر يغمز له بطرف عينيه من بعيد، فيشد الرحال مجدداً، وكلما طلب شيئاً، وجد أنه يطلب المستحيل.

هذا هو مشوار صاحب هذه المجموعة، وهذه هي نقاط تقابله مع شاعر شعبي ذائع الصيت، ألم أخبركم بأن المعنى هو الحاجب الذي لا تعلوه العين؟

تبدأ قصص المجموعة بالإهداء الذي يقول :

(لها..

ولكل شخوص حكاياتي).

من نقطة البداية، اتضح كل شيء، لا نهاية للرحيل الدائم، فالإهداء حكم على المجموعة بأسرها أن تُهدى إلى كيان مؤنث، لغةً ومعنى ومبنى أيضاً، هو امرأة جديرة، أو بلاد معشوقة، أو مدينةٍ فاتنة، أو ذكرى بعيدة، أو لعلها كل هذا معاً.

هنا يبدأ الرحيل، ويظهر للعيان أن القافلة ستسوق رحيلها طويلاً، وأن استقرارها عند محطة وصول نهائية هو أمرٌ مشكوكٌ في صحته، تماماً كما كان شأن قافلة "عياد الشهيبي" المنهكة بفعل رحيلٍ لا ينتهي.

لكن "رامز" لا يتوقف عند هذا الحد، إنه يبعث بالإهداء إلى مساحةٍ أكبر، فهو يجعلها لكل شخوص حكاياته، ولا يحدد المكان، ليست حكاية بعينها من ستتشرف بالاستضافة، بل هي كل الحكايات، وبالتالي فهي كل المدن، وهي كل هذه الشخوص التي سنتعرف عليها معاً فيما يلي من سطور هذا التقديم.

(في كتابيهما على التوالي، (إحياء علوم الدين) و(بوارق الإلماع) يخلص الغزالي وأخوه مجد الدين في معرض دفاعهما عن "السماع"

من وجهة النظر الصوفية، يخلصان إلى أن السماع يفضي إلى النشوة الدينية من خلال الوصول إلى الحقيقة المطلقة)[3].

هكذا يرى الرجلان الأمر، ولكن، ماذا عن القراءة؟ هل تفضي بدورها إلى نشوةٍ تختلف؟

ما دفعني إلى هذا السؤال هو القصة الأولى في هذه المجموعة، قرأتها مرة، ثم أخرى، ثم ثالثة، وفي كل مرة كنتُ أعبر بوابات كونية مختلفة من الحيرة مرة، ومن الدهشة مرة، ومن الحزن ألف مرة، فتذكرت "إحياء علوم الدين" و"بوارق الالماع"، وتساءلت من جديد، هل ما عاينته بعد قراءة هذه القصة هو نوع من نشوة الاندماج بمعنى النص، وهل هذا هو ما قصده الاثنان بنشوة السماع وقد انتحلت صفة نشوة القراءة هذه المرة؟

القصة بعنوان "حكاية كرسون"، ودلالة العنوان تحيلك مباشرةً إلى لغة أجنبية يطمأن إلى مفرداتها الكاتب، لكنها لا تجعله أجنبياً عن معاني ما يكتب.

الحكاية غير مألوفة، وفيها من متعة ابتكار الشخوص، الشيء الكثير، إذ أن أبطال حكايته ليسو من البشر، فالبطل الرئيسي فيها

هو كرسي من خشب، يسرد سيرته الذاتية انطلاقاً من نبؤة أمه، أو دعوتها له ذات يوم.

القصة مؤلمة، تنحاز بشكل مطلق إلى جانب الجماد، وترفض بشكل مطلق أيضاً منطق البشر في التعامل مع غيرهم من الكائنات، حتى تلك التي كانوا سبباً في خلقها.

الكرسي يسرد سيرته مع المدير، وكيف تغير به الحال من كرسي للمدير إلى كرسي للغفير على باب المدير الجديد الذي ((لم يطق رؤيته))، وعبر سرد مفصل لباقي كائنات القصة نكتشف أن الجميع بمن فيهم أمه وأبوه قد تعرض لنفس المنطق الحديدي في المعاملة، حتى ينتهي الحال به إلى وقودٍ لنارٍ يتدفأ بها عامل مخزن يشعر بالبرد.

قصة تفلسف ما حولنا، وتطرح علينا سؤالاً لا نرغب في سماعه :

ـــــــ هل نحن فعلاً الوحيدون الذين يشعرون بالألم في هذا الكون؟

القصة الثانية تحمل عنواناً ملحمياً، "ثمة وردة حمراء تنمو على شفتيك"، ومن هذه القصة يبدأ سؤال في التشكل، هل نقرأ لشاعر يكتب قصة، أم لقاص يكتب الشعر؟

هنا يبدأ "رامز" الشاعر، في التداخل مع "رامز" القاص، ويبدأ نص جديد في الظهور، ونبدأ في مطالعة لغةٍ شعرية في قالب قصصي، ونتذكر من جديد حكاية النص الذي ينساب كالماء ولا يبالي.

في قصة "صورة حقيقية"، يتمحور الحدث حول المصطلح، وهي لعبة يجيدها الشاعر "رامز" مستعيناً بقدرات "رامز" القاص، خاصة عندما يقدم المصطلح بصيغته في اللغة الانجليزية

Virtual Image

نص دوراني بامتياز، تحتاج إلى ذهن متقد لتتابعه، وتتصاعد لعبة الشاعر في صياغة القصة حتى تصل إلى ذروتها في قصة اسمها "في النفس شيء من حتى."

هذه القصة بالذات يقودها صوت، نعم، صوت هو "خرخشة كيس بلاستيك"، كان يوقظ كلما شاء بطل القصة من ذهوله ليغريه بمتعة المتابعة، التأمل، المشاهدة، وهي متعة ثلاثية الأبعاد تمسك ببطل القصة من يده من بدايتها إلى نهايتها ليلقي بملاحظته في نهاية القصة لكي لا يضيع جمال الأنوثة في ضجيج عربة قطار:

– سيدتي، لقد نسيت أن تضعي طلاء الشفاه.

في قصيدة غنائية مذهلة لشاعرٍ ليبي مذهل اسمه "فتحي القابسي" نجد هذه الجوهرة:

(اتصدقوا امرايف على من؟

مرايف علّي.. واتصدقوا مشتاق من؟

مشتاق لي).

وكأن "رامز" يتماهى مع هذه القصيدة وهو يكتب قصته التي بعنوان "عن الشيء الذي أعرف"، وهي قصة تتماهى مع معنى ما أنشده "القابسي" عندما يقول بطلها بالحرف الواحد:

(هل أستمر؟، ربما يخبرك رأسك الصغير أني أهذي، أو أن عارض جنون يتلبسني، لكن صدقني أنا طبيعي، أمارس حياتي بشكل منتظم واعتيادي. لا أخطئ في توقيت الدوام ولا قضاء شئون البيت والأسرة. أحفظ المواعيد ولا يغيب عني واجب. لكن شيئاً هنا، يأخذني، يجرني للبعيد، حيث لا أجد نفسي ملتصقاً بالأرض ولا مرتفعاً عنها، شيء لا يعطيني من اسمه أو صفته شيئاً. هل تفهمني؟، أجب:

-هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو...)

بطل "رامز" هنا، لا يعرف الجواب، إنه يمضي في طريقه وحسب، يفعل كل ما يتوجب عليه، لكنه فعلاً لا يعرف كيف، ولا يعرف لماذا.

في قصة "زهرة سرقت رائحتها"، يتحرر القاص من أسر الشاعر، ويعود لكتابة نص قصصي بامتياز، لا أثر للقصيدة فيه، فالجملة متماسكة، والحدث واضح كالشمس، والخاتمة متقنة محبوكة متميزة.

ربما أطلت التقديم، لكني في نهاية المطاف يجب أن أرفع القبعة كما يقولون ولكن ليس لشخص واحد، بل لاثنين، لشاعرٍ يكتب القصة بإحساس قاص، ولقاص يمتعنا بقصيدة بنفس شاعر.

البيضاء ـ 11. 9. 2017.

الحواشي

1- إدوارد سابير، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت،1993، ص17.

2- الشاعر هو "صالح بو عياد الشهيبي، من أبرز شعراء منطقة الجبل الأخضر في شرق ليبيا، وبالتحديد مدينة البيضاء.

3- سات في الموسيقى الشرقية، ترجمة أماني المنياوي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص21.

حكايةٌ كرسون

تمنت أمه:

- يوفقك الله، لتخدم في مكتب مدير.

- لدي ابن عم، حالفه الحظ، وخدم في مكتب مدير، كل يوم يفيق على منشفة الفرّاش، تمسح وجهه، وظهره وأذرعه، حتى آخر أرجله. ليبدأ خدمته الثقيلة، فالمدير (ما شاء الله) من أصحاب الكروش الواسعة، يرمي بثقله عليه، يدس تحته حذاءه، ولا يكاد، حتى يبدأ دورانه، يمين شمال/ يمين شمال/ يمين شمال. مسكينٌ ابن عمي هذا، لكنه منجم حكايات، يحفظ الكثير ويعرف الأكثر.

- الخدمة في مكتب مدير.. عـز.!!

- ربما، لكن نحن لا حول لنا ولا قوة، في النهاية لا مكان لنا حتى في الاستيداع. ابن عمي هذا انتهى به الحال، في مكتب الغفارة على الباب، المدير الجديد لم يحتمل رؤيته، فقرر من فوره إخراجه عن

خدمته. مسكين ابن عمي، تحمل الكثير، من ثقل المدير إلى ثقل الغفير.

أبوه طيب، ولا يبحث في هذه الدنيا عن مكان، ظل طوال حياته مكتفياً بمكانه تحت الشمس، قبالة النافورة، متذكراً كيف يغسله رذاذها، ويقفز عليه الأولاد، عندما كرمته دائرة الحدائق منحوه لوناً اخضراً وأطرافاً جديدة، مزخرفة، وعالجوا قدمه اليسرى. مرت السنوات، كان يقول:

– السماء تظل جميله، والحياة تحتها نعمة، حتى فصل الشتاء، فيأكل فيك البرد جزءاً، والمطر جزءاً. أما الصيف فهو في بلادنا جهنم، الشمس حارقة، والشجرة بجانبي فقدت أوراقها مبكراً.. ولا أريد تذكر الخريف برماله التي تسفح وجهي وتقشره، خمسة عشر خريفاً والرمل والريح تسفح وتقشر دون يدٍ تعيد اللون إلى أوّلِه.

– أبي، انتهى في مأساة، تحول إلى (رافدة)، في حركة التجديدات اخترقته خمسة مسامير.. كان بديله جاهزاً، ومن طراز ينتمي لعائلة الصخر، باردٌ، وجامد.

– أمي لم تبتسم لها الحياة كثيراً. بعد خدمتها الطويلة في الصالون الكبير، تحولت لخدمة السيد في مكتبه الخاص. كانت تضطر لحمل الكتب والأوراق طوال اليوم والليل، وفي بعض الأحيان كان عليها تحمل رائحة قميصه الملقى على وجهها. مرة حولها سلماً، ومرة فرساً، وأخرى متكأ لقدميه. في يوم أغضبته السيدة، فدخل غاضباً كانت أمي تحت الأوراق، دفعها، لم تتمالك نفسها فوقعت، ضربها، فكان أن كسرت ساقها اليمنى.. وانتهى بها الحال في المخزن. وآخر مرة، كانت غادرت في شاحنة بائع للأشياء المستعملة. أخمن أنها ربما تجلس في ركن بأحد الأحياء الفقيرة، وإن ابتسم لها الحظ فربما تقابلنا في أحد هذه العمارات.

– وأنت..؟!!

– وجدت نفسي في قاعة للانتظار، مستشفىً كبير، ومرضى أكبر. كنت فتياً تحملتُ الصغار يتقافزون فوقي، يصعدون/ينزلون، تزاحم علي المرضى، زُحزحت، تحولت سريراً. حفظت الآهات، وشخصت الأمراض، لم أعالج، فنحن نظل مجرد خدم في هذه القاعة، حتى الصباح عندما يأتي عمال النظافة فيرموننا خارجاً بقوة، ومن بعد يعدوننا دون ترتيب. وجدت نفسي فجأة بدون ذراع،

وفجأة بدأت أتعب من الوقوف فاتكأت على الحائط، حتى أقصيت إلى ركن في الغرفة، تحولت معه إلى حامل لسلة النفايات. واليوم نزاحم بعضنا في هذه السيارة مكدسون.

- وما الذي سيحدث؟؟!!

- أيْ.. أي.. كنت أسمع أن الطرق مليئةٌ بالحفر، والآن تأكدت. الحبل يضغط على ظهري، بقوة.

- هل سيكون مكاننا الجديد، أفضل؟

- أفضل/أقل، نحن مكدسون في هذه السيارة منذ ساعة،....

- آآآآآآه.. أي

- هيه ..

- آي.. أي.. أي..

- كيف الحال؟.. وصلت على الخير.

- أدر السيارة قبالة المخزن، وتعال لكأسٍ من الشاي.

- هيه.. تكسرت عظامي!!

- آآآه، لقد فقدت رجلي الثانية!!

تمنت أمه، خدمته في مكتب مدير. انتهى والده، رفداً بخمسة مسامير. بقي يستمع لآهات المرضى وشكواهم.

في الأسبوع الأول سقط عن الكوم، وتدحرج. في الشهر الثاني، في حركة التغيرات تحول قرب الباب.

البرد قارص، والحارس يقطع الليل بالغناء، يقترب من المخزن، يجره إلى حجرته، يحس بعض الدفء في النار المشتعلة.

- هيه، كيف حالك؟

- تمام، أدركت وصف أبي للشتاء بالقاسي. منذ متى وأنت هنا؟

- اليوم صباحاً.

الحارس يعود، والنار تجاري نسمةً باردة مرت. الحارس يمد يده، ينتزع قدمه ويلقي بها للنار، قدمه الثانية.. ثم...

ثمّة وردة حمراء تنمو في شَفَتيك

[1]

كانت الأيام تفتح بابهـا كل صباح لشقاوتي، وتعترف في نهاية النهار، أني أتعبتها جرياً ورائي، منسلاً من شارعٍ إلى زقـاق، إلى ساحة.

[2]

في هذا اليوم، بعد محاضرتي الطويلة عن سلم الحياة والأولويات، والدرجاتُ الممكن تخطيها، سرت طويلاً، وطويلاً لأجلس في ظلمة السور القديم. الظلمة وهي، يبدوان توأمان، ما يكشفها قميصها الأبيض، فاضطررت لنـزعه.

[3]

بعد عام تذكرت مروري بالشارع الخلفي، وتذكرت الشمس وهي تـقيلني إلى الحديقة. كُنتِ تـَعِبَة، نزعتِ عنكِ الحذاء، ورميت قدماك بعيداً.. حاولتُ قتل الظهيرة في يديك، ورميت بقدميّ أيضاً.

[4]

في الحلقة الأخيرة من سيرةِ المشتاق، لم يرقني أفـتـعال الصدفة. مررتُ حكاية عجيبة في الدوّار، وحكاية أعجب في الانعطاف الثالث، تشجَّعت فحكت أسطورة الهروب، ومدت شفتيها بنية تذوق الحقيقة.

[5]

في تلك الليلة تمكنت من العبور إليـها. كانت كعادتها تنام مفتوحة العينين، وتجمع إليها الفِراش.

[6]

في ذلك الصباح، تأكدت من رائحتها، وبقية المذاق. كانت هنا.

[7]

في ذات الصباح، لم أرد أن أُتعبها، تقدمت ببطيء، وفتحت المكان. مِلت: لماذا غادرتِ سريعاً؟. تتعجب!!. تقتنص الغفلة لتمرر يدها. تبتسم، أهمِسُ: ابتسامتك مربّعة.

قصاقيص

/1/

رمى بجسده/ أنّ.

اليوم تمر عشرون عاماً على لقائهما الأول. في أولها احتاجه كي يصنع خطوته الأولى بهيئة مقوسة، ومن بعد حصاناً، وسيارة وطائرة ومركباً، أوقعه/ وأوقعه، رفعه/ ورفعه. دس فيه أسراره، أشياءه الصغيرة/ المعدنية/ الملونة.

رمى بجسده/ أنّ.

شدّ بقبضته على ذراعيه. تذكرهما صغيرتين، تشدان بقوة، تدفــعان، لم يترك مكاناً إلا وجرّا فيه أقدامهما .

رمى بجسده/ أنّ .

للمرة الأولى في تاريخ علاقتهما الطويلة، فكر أن يجلس، لم يمهل الفكرة وقتاً، لم يمهل العشرون ليضمــها.

/2/

قفزت الخرافُ كلهَا، ولم ينمْ.

لم ينمْ.

كان لليلة لم يجد مخرجاً، عد الثقوب والمربعات، ورسم الحوائط من جديد، وشكل فيها ما يريد، والوردة الحمراء لم تغادر بعد، والخراف قفزت.

كان للصباح لم يجد شكلاً، خط في الهواء حرفاً، وسماه أبجديتها، زاد في شق الضّوء الفالت حرفين، عند دائرة السقوط عقد الحروف في تاء مربوطة. والوردة الحمراء لم تغادر، والخراف خرجت باكراً.

/3/

الليلة وجدتها في الفراش، متى؟

اكتفيت، بالإجابة الحادثة عند وسادتي، والحركة الناعمة للغطاء عند قدمي. والليلة كنت بعثت رسالة في السادسة ولم أتلق جواباً بعد.

الليل يزحف، وأريد اللحاق ببعض الراحة، وأخاف على البقية ليوم آخر، أهاتفك به صباحاً.

وجدتها

لم تصل الرسالة بعد.

أنتظر!!!

تدفعني؟؟؟

وجدتها، كانت هادئة، وضعت على خدي قبلة، ورنت:

you have got a message !!!

من حكايات رُوز*

* نشرت ضمن العدد الثامن من الكتاب التذكاري لمسابقة نجلاء محرم للقصة القصيرة "الفائزون" 2009.

حكاية 01

كالعادة، تخلع حذاءها لتبدأ الدرس. تجمع الكتاب إليها، تلعن الوقت، تضبطني متلبساً بالنظر / تبتسم. جوربها الملون يرسم أصابعها الدقيقة، وخمس بتلات في لون اسمها. ربما الصدفة، لكنها للمردة الثانية تضبطني متلبساً / تبتسم.

* * *

- ممل!!!

* * *

ترفع ساقها قليلاً، تسحب القلم إلى فمها. يبدأ الدرس.

- أيها الثعالب!!!

لا وقت للهزل، والتراجع لا يفيد.

* * *

- كم؟

- شهران.

- وكيف اســ/.....

- أرجوك. احتسبه في أجر الصابرين.

***

على اللوح صورة جوربها المخطط / أنشَغِل. في النافذة صورة الكتاب إلى صدرها. للمرة الثالثة تبتسم. قدمها اليمنى على الكرسي، سوداء. أوه، هذا باطن الجورب يرسم قدمها الصغيرة، أظنها مقاس 36 / تبتسم.

ترفع قدمها إلى أعلى الكرسي، الجورب أسود والخطوط في لون اسمها، والبتلاتُ الخمس بيضاء الحواف. تسقطني في الفخ / تبتسم. ترميــني بحرفنا الأخير. المرة ألتفت/ تبتسم.

المكان يضج بالصور. مشهد الليلة الماضية، مشهد قد يكون اللحظة، وآخر تشكله الطاولة للحظة قادمة. الأصوات تختلط. لا

يعود من السهل تمييز الحرف باللمس، أشاهد صورتي وأنا أتذوق أول حرف .

يا للأيام، تغيب لتعود من الباب الخلفي، وتحرجنا بسؤالها: كيف الحال؟ .

للمرة الألف أقع أسير عينيها، ترفع خصلة عن شعرها/ تغادر.

***

- هذه البداية.

- !!! ، ؟؟؟.

- بدأت تعرف الطريق، لن أخاف عليك بعد الآن.

نيوكاسل: 14.12.2007

حكاية 02

هذه المرة، فاجأتني بالنجوم موزعةً تدرَّجُ في ألوانها للأعلى. رمت بقـدميها على الكرسي –كالعادة–، وجانبت الطاولة، وقبضت علي/ تبتسم.

***

– hot water?

- شكراً

– Would you like?

–شكراً، أحب التحكم في كمية الماء، للتمتع بمذاق القهوة.

***

لم يكن من السهل تحمل ثقل الفراغ، الصوت يصدع في أذني (أنا مش بتاعت الكلام ده.. أنا كنت طول عمري جامده)*. هي تداعب شعرها، وتفتح لعينيها صفحة جديدة.

تدفع باليمنى للأعلى وترخي اليسرى، فتظهر بوضوح نجمة خضراء عند إبهامها. لحظة/ تضبطني/ تبتسم.

***

- السّيدات أولاً.

- Thanks

- من دواعي سروري.

***

مذاق الشوكلا الساخنة يعبئ صدري، ويحول الفراغ إلى اللون البني، الكوب الثاني لليوم، إنها تتبع أسلوب خفة الطير _لا تسألوني عن المعنى_، ترفع الكوب إلى شفتيها، لا صوت _عكسي تماماً_، تضم

ركبتيها إلى صدرها، تصطفُ عشر نجماتٍ، مرتبة: خضراء، صفراء، زهرية، بيضاء، حمراء.

تضبطني/ تغمزني/ نبتسم.

---

*أغنية للمطربة المصرية "شيرين."

نيوكاسل: 31.01.2008

حكاية 03

يبدو أنها استحسنت اللعبة. صارت تختار لون ملابسها على لون الجوارب. اليوم كنزتها الصوف باللون الأزرق. دخلت، ابتسمت قبل الجلوس. رفعت ساقيها إلى الكرسي، كان أزرقاً بحوافٍ زهرية، اجتمعت في تقاطعٍ عند الأصابع.

(2)

ربما.. سارعت باتجاه الصوت الزاعق، باحثاً أين هو:

- نعم.

- .....

- الحمد لله!!

- .....

- لا

- .....

- سأنتظر!!

(3)

لم تغادر طاولتها. ولم أبادر. كل ما تفقنا حوله هي لعبة النظر والابتسام. أختلس وتمسكني هي بابتسامة.

(4)

في المحطة، كنت أمني أذني بالاستماع لصافرات القطارات وصوت الحركة الثقيلة للمكابس، ورائحة الدخان.

- أراك في الفصح.

- بإذنه تعالى.

- وهي؟

- ستكون هنا.

- ستحضر؟

- كلانا، بإذنه تعالى.

(5)

أسبوع باردُ مر، ألقيت بنفسي على الكرسي. كانت منشغلة بكتابها، ورحلت إلى ما تحت، كانت تضم ساقيها، تشغل يمناها بخصل شعرها الملون/ نظرت. تفحصتُ عنوان الكتاب وأثر الكلمات في عينيها/ نظرت. كان شيئاً يلتمعُ عند شفتها/ اقتربت أكثر، مددت عيني/ لامست شيئاً.

تحسست/ ابتسمت. ضبطتني هذه المرة مختلفاً.

نيوكاسل: 03.03.2008

صورة حقيقية

-1-

-Virtual Image

للمرة الثالثة يعيد ذات المصطلح.

- خلاص عرفناها، صورة متخيلة.

يضيف:

- Always

ألتفت لزميلي:

- لما كل هذا الدوران، والدوران والتكرار!!؟؟

- إنه يحاول أن ينبهك أن الصورة المتكونة (Virtual Image)، يعني ليست حقيقية، ولا يمكننا استظهارها على ستار، أو شاشة.

أنظر إليه، وألعن درسَ المرايا الثقيل، والفيزيـاء الأثقـل في هـذا البلاد الباردة. كنت أظـن أن النـاس في هكـذا بـلاد تتقـارب طلبـاً للدفء، لكني اكتشفت أنهم يقتربون أكثر أكثر، لقياس قوة التنـافر الممكنة.

أميل على زميلي:

- قوة التجاذب بين جسمين مشحونين، تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهماااا. وطبقاً لقانون نوتين الثالـث، فـإن قـوة التنـافر تتحقق بذات المعادلة.

يلتفت مبهوتاً:

- آه، أين وجـدت هـذا القـانون؟.. كيـف فاتتـــني مراجعتـه، والامتحان بعد أيام؟.

أبتسم، وأنا أرقبه يقلب المذكرة باحثاً عن هذا القانون، ثم يرفـع يده:

- آسف سيد (.....)، أين يمكنني أن أجد قـانون التجـاذب بـين الشحنات.

يبتسم الأستاذ:

- آسف سيد (.....)، لكن درس الشحنات غير مقرر.

أكبح ضحكتي، ويغتاظ هو.

لكن الصورة متخيلة، والتجاذب بين الشحنات يتناسب عكسـياً، وقانون نيوتن الأول يؤكد أن الجسم يظل على حاله ما لم تؤثر عليـه قوة تغير من وضعيته.

قبل المغادرة أشكر السيد "إسحاق نيوتن" على هـذه الإضـافات المهمة، وأهمس في أذنه:

- أتعرف، أنا لا أصدق حكاية تفاحتك.

-2-

-No body perfect

-Wrong, "Nobody is perfect"

-Thanks Mr. Slay

-3-

هناك ثلاث رسائل جديدة.

آه، هذه منها.

Click

Encoding

الرسالة طويلة، لقد قالت بالأمس إنها بعثت برسالة تشرح فيها ما حدث معها خلال الأيام الماضية.

أبدأ القراءة، أحاول التركيز أكثر، فهي تكتب بالفصحى والعامية وما بينهما حروف موزعة لا يمكنني فهمها. أحـاول، أنجـح. كنـت كلما طلبت منها الاعتناء بلغتها ترد:

– عندما كنت في الثانوية كانت مدرسات اللغة العربية يتحدينني في الإعراب، وكن ينهزمن أمامي.

– والآن؟؟!!؟؟

– أعطني بعض الوقت، وسترى.

_ أعطيتك أربع سنوات.

– .....، أنت تعرف المشاغل و.....

– سأعطيك ضعفها.

– لا أحتاجها !!!!!. وتخرج حاملة حاجياتها.

الرسالة طويلة، تـذهب في التفاصـيل، والوصـف، لقـد تعلمـت _مني_ حتى طريقة مد الحروف وتكرارها للتأكيد، تـتعلم بسرـعة، وأخسر الصورة في نهاية الرسالة.

-4-

– تستحق هذا التعب، حتى أصل.

هكذا كنت أقول لنفسي. فقبل مائة عام عندما زار الماء تلالي للمرة الأولى كنت بعد أتفقد الأزهار التي أينعت عند حافة الوادي، ناعمة وزهرية اللون. وكان الوقت صباحاً عندما صادفتها سحابة طلب أن ترتاح قليلاً عند الجبل. في الظهيرة صار الوادي بحيرة، نبهتها أن استراحتها طالت، قالت:

- لا تخف، سنعقد اتفاقاً.

- ....؟؟؟!!!

- ما رأيك لو تزوجت الجبل ومكثت عند التلال.

- موافق.

لكن من يأمل في السحاب، تأتيه الريح ترفعها وتنحت في جبله، ولا يمكنه إلا البحث في الوادي عن وردة في لون الطين. في ذلك العام نصبت أجنحة من كلمات على حدود التلال، وفي أعلى الجبل نصبت قصيدة في مدح الريح. في العام التالي حولت العصافير الفخاخ أعشاشاً، وابتعدت الريح بعدما ملت سجع الكهف بذات الحكاية.

- أفٍ لهذا العويل، أعلي احتمال هذا النواح أبداً.

- تستحق هذا التعب.

رسمت حول صورتها دائرة بقلم الرصاص، وسميتها (.....)، كتبت أسفل الصورة (خوف). في ذات العام كانت التلال تشكوا الجفاف، وتقلب الجبل عن بقية سحابة، لكن الريح الأخيرة حملت كل شيء، حتى أجنحة العصافير، ولم يبق من حرث العام الماضي إلا أغنية. والخوف أن تجف حروف الأغنية على الأرض، تنبشها الغربان حرفاً حرفاً.

- تستحق.

-5-

أقفلت راجعاً. رائحتها تعبئ صدري، صورتها من حولي أين التفتت، صوتها في حركة الناس وزعيق السيارات. عانيت حملها حتى وصلت، ودسستها في الدولاب.

- يااااه، كم ثقيلة.

كان فستانها البنفسجي يلمع في عيني، فأحفر المشهد عنها، أدق لونا هنا، آخر هناك، أستعين بما تبقى من حروف وكلمات لم ترفعها الريح.

- سيداتي، سادتي. اسمحوا لي أن أقدم الصورة الحقيقية.

-6-

- كيف كان الامتحان؟

- الحمد لله، لكنه كان مركزاً.

- من المفترض أن يكون على هذا المستوى.

- قلي، سؤال المرايا.

- إنه سهل، لا تقل إنك لم تجبه. كل الإجابة كلمة واحة.

- لا ولكن أريد، التأكد. أليست الإجابة الثانية هي الجواب الصحيح (صورة حقيقية).

- هذا في خيالك فقط.

- ....

- نعم، فالصورة متخيلة ولا يمكن استظهارها على شاشة أو ستار. السيد (.....) أعادها ألف مرة، ومرة.

- صورة متخيلة.

كل هذا الوقت والصورة متخيلة، أما السيد (نيوتن) فمازال ينتظر سقوط التفاحة الثانية:

- والتجاذب.

- ....!!!!!

نيوكاسل: 19.12.2007

عندما يهاجمك الضجر
يبدأ الفراغ بالتشكل

(1)

- ما كانت لتعجب سواي!!!

رددت هذه الجملة في نفسي وأنا أصطدم بوجهها في زِحام محطة (ذات العماد)[1]. صباحٌ رطب ثقيل، روائح بقايا أسواق الليل تجعل المكان حاد المزاج في صخبه. اتجهت صوب الموقف الذي أريد، صعدت الأفيكو[2]، لم يكن من مكان قرب النافذة، فجلست في أول مكانٍ شاغر.

(2)

ساعتها لم أكن مدركاً لما أفعل.

انطلقتُ وإياها في اتقادِ الظهيرة، لم يغرنا الظل، توجهنا مباشرة إلى الشمس، لم نداري وجوهنا، منحنا ابتساماتنا للعابرين القلائل. الساعة الثانية ظهراً، والوقت يسمح بالطيران.

(3)

سرت رعدة خفيفة في جسدي.

تحسستُ موضع يدها، لم يكن يحمل أي أثر، شعور ما تملكني أنه أكثر دفئاً، وأنه تشكل كيف توزعت أصابعها عليه، ورائحة العطر الذي احتواها المكان، تجمعت هنا، وسكنت.

(4)

عرفتها من حذائها ولون جوربها الزهري الذي تمدد خارج فتحة الحذاء الأمامية، التفتت ناحيتها كانت تجلس في حذر ناظرة للأمام فقط، بينما غطى صفحة وجهها التي تقابلني منديل رأس أبيض، جعل وجهها يطالعني في خطٍ منحنٍ عن خدٍ صقيل وردي.

تحركت الأفيكو في هدوء. وعند استلامها الطريق بدأت حركتها الأولى، أدخلت يدها، لم ألحظها إلا لحظة حركتها، السطح البني الباهت عكس حركة اليد داخل الحقيبة، ثم توقفت. نظرت يميناها، أخرجت يدها بسرعة إلى فمها، وشرعت تمضغ شيئاً، لتعود إلى داخل الحقيبة، ثم تخرج بذات المسار. قليلاً وفاحت رائحة البرتقال.

(5)

- أحب الصيف!!!

قلتها وقد غطى عيني الأحمر في خطوط قميصها الأبيض.

- أحب الشمس!!!

علقت بأن مدت يديها، تريني لون الشمس على بشرتها، وكيف يكون أبيضاً تحت الثياب.

- لكن الشمس مفيدة، وأنا أحب النهار!!!

توقفت، لتخرج حصوة تسللت داخل حذائها، راقبت حركتها السريعة وهي تلعن الطريق والظهيرة.

(6)

جمعت أطرافي إليّ/ لم أخرج.

تركت للمكان حرية التمتع بارتباكي، وجرأتي في فض الحجب وقراءتي السريعة للتفاصيل، حتى لم أتوقف عند الهوامش، ولا راجعت ما قاله العارف.

أماكن الأصابع مازالت تنبض.

والمكان يحاول الرجوع سيرته الأولى.

نيوكاسل: 13.03.2008

1- محطة ذات العماد: الاسم الشعبي لمحطة العامة لحافلات النقل في مدينة طرابلس.

2- الأفيكو: الاسم المحلي لحافلة النقل داخل المدينة، وهي من إنتاج شركة أفيكو الإيطالية.

لا يهم ألا تأتي الأشياء

(1)

ليس ضرورياً أن تكون الأشياء كما تريد. وليست كل الأشياء، أشياء كما تبدو.

عندما اعتدلت في كرسي، وجدت وجه الكراس يقابلني صافياً. نقطة في وسطه ظلت تدور وتدور حتى عبأت الصفحة، واختفت عند صدرها. تسربت إلى أذني كلمة "ديناميك"، فكتبت على حافة الكراس (حركية)، ونظرت ناحية البقعة، كانت ساكنة.

(2)

تسللت بهدوء. عبرتُ المسافة إليها:

- تـتقنين التيه.

- ربما.

- الكراس، يكشف طريقك، إياك أن تتركيه لأحد.

- هه!!!!

كانت الشمس عند ركن النافذة. المكان ينضح عرقاً، والصور على الحائط شاخت، تحولت أطرافها إلى قصاصات لأرقام الهواتف، وكتابة الذكريات والأشعار البايخة.

تحركت. مددت يدي إلى حافة الكراس، كانت الدائرة أتت على البياض، وانتهت عند رأسها.

(3)

ليس ضرورياً، لكن لابد للأشياء من قدرة على مشاغلتنا، والدخول خلسة (على الخط) وتعرية حقيقة التماس. وكشف الحركة تحت السطح الساكن للماء.

نزلت. اختصرت الدرجات اثنتين اثنتين، قفزت الأخيرة.

كنت تحاولُ دفع الحجر عن صدرك، شيءٌ ما كان يجعله ثقيلاً رغم الخفة الظاهرة، -الأشياء ليست كما تبدو- أطلقتُ آهة بحجم

الفراغ في صدري، ودفعت، شددت. ليس في المكان إلا عينيها الغائمتين، ورائحة بكاء لم تجف دموعه بعد.

تتبعت آثار الماء المالح، علي أقذف بالحجر ناحيته فينجرف، أو يقوم الملح بإذابة حافته فيسقط.

تتبعت آثار الماء المالح، كيف يتخذ مسربه بعيداً عن الهضبة، وقريبا من الواو، تذوقتُ بعضه، مالحاً. مسحت ما تجمع عند الوادي الكبير.

لم أنزله، كان الحجر ثقيلاً وخوفي من الدحرجة توقف بي عند الهضبة، مكتفياً بالنظر للندبة التي ظهرت بداية الأسبوع. درت حولها تأملت اللون الوردي الذي لم يكتمل في غبش النهار الباهت. تملكتني رغبة بالجلوس، لكن الحجر ظل بيني وبين الأرض أن يثقلني فلا أستطيع النهوض .
واقفاً، والحجر يسكن صدري. أظل مقوساً. لا مجال للنظر إلا القدم في لونها الأسود، والاشتعال الظاهر في إيقاعها. تنحيت.

(4)

أذكر، أن نزقاً ما أوحى لي بفكرة: أنتظرك!

مرت الدقائق أسرع مما توقعت، فاجأتني أدس يدي تحت الثياب، صمت. تذرعت بالمسافة وهم الزمان وما يوقعه الحلم فينا. رسمت على حافة علامة الاستفهام ستارة وأطلقت لفرشاتي اللون خلفها. سبحت.

نيوكاسل: 01.08.2008

في النفس شيءٌ من حتى

يتوقف. أصعد.

نسيت أن آخذ صحيفة المترو لهذا اليوم، فقد دخلت المحطة راكضاً ولم أتوقف، وحده المترو الذي لا يتأخر عن مواعيده، إلا فيما ندر، والـ07:04 صباحاً تأخذني للمطار، ولا أريد اللحاق في المترو التالي لأن الازدحام يكون شديداً، وأكون مضطراً للوقوف طيلة الرحلة.

هذه عادتي كل صباح، الكل من حولي غارق. سنة مرّت، عرفتُ فيها الكثير من الوجوه، وصادقت الكثير منها.

أعرفُ مثلاً أن السيدة الممتلئة، التي تجلس إلى ذات الكرسي في الركن –يومياً–، وتشغل نفسها بالقراءة، لا ترفع رأسها عن الكتاب إلا قبل وصولها إلى محطة (الكنجستون بارك). أما السيدة ذات الشعر الداكن، القصير، التي تعلق بصرها إلى النافذة، تنـزل إلى محطة (الريجن سنتر)، الغريب مع هذه السيدة، أنه كلما صعد

مفتشو المترو، وتفحصوا بطاقة صعودها وجدوها منتهية، وهي دائماً تقول:

- لا أعرف، لكني أخذتها صباح اليوم.

يدقق المفتش في البطاقة، وعند الوصول للمحطة يهمس في أذنها، ويترجلا خارج العربة.

ولأني هذا الصباحُ وصلتُ متأخراً، بعد أن تحرك المترو بضع محطات، وفرغت القاطرة، انتقلت للجلوس إلى كرسي يجعلني في اتجاه حركة المترو، وجلست هي أمامي.

إنها محطة الـ(جُسفورد)، وعادة ما يكون ركابها قلائل، وصعدت صحبة حقيبتها الكبيرة لتجلس إلى الكرسي، وتحتل هي الكرسي قبالتها. وحالما تحرك القطار مالت إلى حقيـبتها وأخرجت كيساً وردي اللون التقطت عيني منها كلمة (Body).

انشغلتُ بمتابعة الأضواء عبر لوح الزجاج، لكن خرخشة الكيس البلاستكي أعادتني إلى الكرسي أمامي.

كانت ترفع مرآة دائرية إلى مستوى وجهها، أدارتها يميناً وشمالاً، قصدي شمالاً ويميناً فهي إنجليزية، لتضع المرآة جانبها، وتخرخش الكيس وتخرج علبة سوداء وأنبوب كريم أزرق اللون. بدأت بأن وضعت بعضاً منه على راحة يديها وفركتهما قليلاً، ثم رفعتهما إلى وجهها، ودارت بهما على كامل الوجه مسحاً وترتيباً عند الحواف. يبدو إنها لمحتني في المرآة، فقد بدت منها ابتسامةٌ على صفحتها العاكسة. وما يهم، فالمترو للجميع.

فتحتِ العلبةَ السوداء، فخلتها علبة ألوان مائية في المربعات الملونة والفرشاة الرقيقة في المنتصف، مزجت بها بين لونين، ووضعت العلبة لأسفل ورفعت المرآة، وراحت تحركها على وجهها، وتروح بينهُ وبين العلبة السوداء. ليخرخِش الكيس من جديد، وترفعُ يدها بمشطٍ كبير، وتبدأ في مشط شعرها وتهذيبه، وتسليك أطرافه.

يخرخش الكيس، هذه المرة المشط أصغر، أسطواني، رفعته إلى غرتها وبدأت تعدل من توزيع الشعر على جبهتها. ومن بعد أرجحت رأسها يميـناً وشمـالاً -أقصد شمالاً ويميناً-. هي الآن ترفع المرآة

وتتأمل وجهها -أو هكذا أتصور- وتديره، تهذب طرف عينها بخنصرها، لتقرب المرآة أكثر من وجهها، فهي الآن تشد رموشها.

نظرت إلى الساعة، مازال على محطتي خمسُ دقائق، هذه المحطة قبل محطتي، في العادة لا يصعد ولا ينزل إليها أحد، لكن المترو عليه التوقف في كل محطة، والانتظار. وعبر الزجاج بدأ الصباح يعلن عن حضوره بخط ضوئي على رأس الأشجار، بينما السماء أعلاه داكنة.

جمعت إلي حقيبتي ومعطفي، فالتفتت إليها، كانت تدهن يديها، ثم سحبت قنينة عطر من حقيبة يدها ورشت منها عند رسغها ورقبتها، ومالت حيث سمعت خرخشة الكيس البلاستيكي وصوت السّحاب يحكمه.

بدأت تلوح محطتي من بعيد، الرحلة اليومية تقارب الانتهاء، وصوت الطائرات يقترب أكثر، ثمة أضواء لإحداها أقدر إنها تناور للنزول. بدأ المترو يخفف من سرعته للتوقف. نهضت من كرسي واتجهت للباب، لكن صوتاً استوقفني:

- لو سمحت؟.

الصوت جاء من الخلف ناعماً، إنه لجارتي الوحيدة في العربة، التفتت:

- نعم، كيف يمكنني مساعدتك؟

أجابت:

- شكراً، أريد أن أتأكد من مظهري، فأنا أستعدُّ لمقابلة.

المترو يكاد يقف، ووجها أظنه يحتاج مني الكثير لتأمل تفاصيله، والخلاص من تفاصيله الدقيقة، استفقت على سؤالها:

- كيف تراني؟.

- آه، نعم، ماذا؟

ابتسمت، فانغلقت عينيها في لقطة ذكرتني بأبطال الرسوم المتحركة، المترو توقف، تماماً ومن خلال لوح الزجاج رأيت أحد الزملاء يعبر الرصيف، ربما التفت إلي، ربما غمزني وهو يميل على صديقه ويبتسم.

- كيف تراني؟

عيناها مغمضتان، والمترو أطلق منبهه مؤذناً بتحركه. شدتني من يدي:

- سأنزل المحطة القادمة؟، قل لي.

محطتي فاتت، وسأحتاج خمس عشر دقيقة للعودة لمحطتي، استسلمت ليديها، وجلست على الكرسي قبالتها، وأشرت:

- شفتاك!

فمدتهما باستغراب، محاولة النظر إليهما.

- سيدتي، لقد نسيت أن تضعي طلاء الشفاه.

- حقيقة، أأنت متأكد!!

المترو يقترب من محطته، كل ما أريده الآن القفز إلى الرصيف المقابل.

وقفت إلى الباب، بينما كنت أستمع لخرخشة الكيس البلاستيكي. من على الرصيف، راقبتها ترفع المرآة وأصبع اللون إلى شفتيها.

نيوكاسل: 29.12.2008

عن الشيء الذي أعرف

هل تعرف لماذا أحب الصمت؟

- .....!!!

أنا عن نفسي لا أعـرف!، كلمـا أفقـت وجـدت نفسيـ غارقـاً في الصمت، حتى أني لا أكتشف كيف دخلته. ليست السرعة ولا قـدرة فيَّ على التخفي، إنما حالة لا أعـرف كيـف أفصـلها، ولا معنـى مـا يصيبني.

- .....!!!

أعرف أن الأمر مربك، وأنـه كثـيراً مـا يـوقعني في الحـرج مـع الأصدقاء والأقارب، فحال أرحل يرحل الحديث، ولا ألتقيـه إلا ويـدُ محدثي تهزني، لأقول: صدقت والله.

- .....!!!

هم يعرفون جيداً حالتي، لذا يختارني البعض لتفريغِ همومهِ وبث شجنه، لأني كما يقولون: مستقبل بدون مرسل. وحتى: صدقت، أو إمممم، يدركون إنها محاولة مني لإيهامهم بجدوى متابعتي.

- .....!!!

البارحة، مر جارنا، تحدث عن أشياء كثيرة، كان يتوقف في كل مرةٍ ليسألني: فهمتني جاي. أذكر أني هززت رأسي مرة أو اثنتين، لكني، أو ربما هو أدرك جدواي، فطار في نهاية الحديث!!

- .....!!!

صدقني، حتى أنت ربما تسأل نفسك الآن: ما الذي يحدث؟، لا أعرف!. هي إجابتي التي أعرف، والواثق من جدواها، وقدرتها على وصفي.

- .....!!!

هل أستمر؟، ربما يخبرك رأسك الصغير أني أهذي، أو أن عارض جنون يتلبسني، لكن صدقني أنا طبيعي، أمارس حياتي بشكل

منتظم واعتيادي. لا أخطئ في توقيت الدوام ولا قضاء شئون البيت والأسرة. أحفظ المواعيد ولا يغيب عني واجب. لكن شيئاً هنا، يأخذني، يجرني للبعيد، حيث لا أجد نفسي- ملتصقاً بالأرض ولا مرتفعاً عنها، شيء لا يعطيني من اسمه أو صفته شيئاً. هل تفهمني؟، أجب:

- هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو ... هَوْووو ...

نيوكاسل: 22.06.2009

محاولة للوقوف

كأنها لحظتي الأولى، خطوتي الأولى. عيناي مسمرتان إلى حافة حذائي البني. وكأن ما حولي تحالف في الصمت، لا صوت يصلني به، أو كأني وُجدت في اللحظة الخطأ في المكان الخطأ. وجدتني أعود واقفاً على عتبة الباب الحديدي الكبير، لكن ما يختلف هناك عن هنا، أن يداً قوية كانت تصحبني، وتشدني خلفها. مشيت متثاقلاً، أمتد خط خلفي من أول الباب الحديدي حتى حافة السلم. خمس درجات، صعدتها واحدة واحدة، واليدُ تشدني، وتحثني:

-هيا، لا وقت لدي؟!!!؟

عبرنا باباً خشبياً كبيراً، أنا لم أره، لكني قدرت حجمه من سمك حافته السفلى، وعرفت أنَّا داخل المبنى الآن، فإضاءة النهار خفتت بعض الشيء، وارتسمت على أرضية الممر زوايا منيرة لنوافز تحاذي رأسي.

- سأذهب به غداً.

- على بركة الله، ما باليد حيلة.

- هكذا قضت سياسة البلد، أن لا خواص.

- على الأقل هي قريبة من البيت، ويمكنني العودة به.

- لا!!!

- !!!

- سيعود لوحده.

- !! ؟؟؟!!

أفقت على اصطدامي برجله اليمنى، كنا قد توقفنا أمام باب مغلق، سمعت صوت طرقات، وإذنٍ بالدخول. وكأني انتقلت من عالم إلى أخر، هدوء لم أعد أسمع جرجرة قدمي، فقد تكفل غطاء الأرض السميك زهري اللون بامتصاصه، وتحولت الإنارة إلى الكهربائية راسمة كتلتي على الأرض، فتقسمها الرقعة المخملية التي تتوسط المكان.

- تفضل.

ارتخت يسراي، فسارعت لضمها ليمناي، فأحسست بحرارتها ولزوجة الرطوبة التي صنعتها يده وهي تضغط علي. تأملت الرقعة المخملية، كان طرف دبوس نتأ عند حافة وردة زرقاء، عجبي!، هل الورد بهذا اللون يكون؟، وكيف تسلل الدبوس أسفلها ونفذ؟. ثم لماذا صوته عال؟، يجبرني على سماع ما يقول:

- هه. جيد.

- هو هادئ، وسوف لن تجدوا معه أي مشكلة.

- سنرى!!!

- يعني، استلمت؟

- توكل على الله.

كنت أريد أن أعيد له يدي، لكنه تجنبها، ولحظة أغلق الباب، أحسست بنفسي أتضاءل، حتى لامست الدبوس، جريت إلى قائمة

الكرسي، لكني تعثرت في أثر حرق على الرقعة المخملية، كان كافياً ليباغتني:

- هيا.

الآن النوافذ على يساري، ساورني شعور إنّا باتجاه الباب الخشبي الكبير، سمعت صوت العالم الخارجي بوضوح، فرحت؟، نعم، لكن لحظة وصولنا له، انعطفنا يساراً. كانت الإنارة أخف، وأصوات ترتفع هنا، وأخرى هناك، أصوات مختلطة، لم أستطع الهروب، ركزت النظر أكثر إلى مربعات البلاط، حتى أخرجني هو:

- انتظر هنا.

اكتشفت أن الغبار غطى مقدمة حذائي، وأن الوقت لن يسعفني لمسحه، ثمة عقب سيجارة عند استدارة المقدمة، وخوفاً من اتهامي به، سحبته تحت الحذاء، وراجعت في داخلي الحوار الذي رتبته، أو الذي يفترض أن يكون، أو أن أحاول قيادته، حتى لا أوجِد للأسئلة غير المتوقعة مكاناً. واكتشفت أيضاً أني لم أُحسن كي البنطال، فالخط لا يبدو ظاهراً بشكل قائم، وأن ربطة الحذاء لم تكن

متوازية. ربما في المرة القادمة أكون أكثر حذراً، أو ربما أنتعل نوع الأحذية الذي لا يحتاج للربط. و.....

- و..... ماذا؟

-.....

وامتدت أمامي، في اللون الذي أحب، الأحمر القاني، في أتقان وترتيب محترف، حركت أصابعي داخل الحذاء، تحركت هي، كيف؟، لا أعرف!، تحركت في توافق وعادت لوضعها الأول، ما يجذبني إليهما هو هذا الخط المائل الذي تصنعه رؤوسها في تدرج سهل، وكيف تختار في كل لقاء لوناً يحبسني إليها، سائلاً نفسي كيف لها أن تخرج بهذا الشكل المربع دون زوايا خادشة، ولا.....

- هل ستستمر بالنظر إليهما كثيراً؟... ءأعجباك؟، هذه المرة اخترت الأحمر القاني، قبضت عليه في مرة يأخذك بعيداً عني.

- ... هه... أنا... متى؟

- لا عليك... هيا بنا.

سَحَبتهُما، اختفى حذائي البني، ولون الرصيف الرمادي، وعلى غير العادة من لقاءاتنا السابقة، لم يسر الحوار كما أريد.

البريقة: 24-01-2011

صوت

- لا شيء أحمله، لا صوت، لا علامة!!!

- ولكنك ....

- لكني ضعيف، حقيقة أعترفُ بها.

- حقيقة

- نعم، هذهِ المواجهة غير شريفة، قذرة، وأنا لست داخلها. أنها أقوى مما يمكنني احتماله.

- فكر

- بالمنطق، المعادلة تنفتح على المجهول. وعاطفياً ليتني معهم.

- تتمنى؟

- آه لو أخرجُ هذا القلبَ من مكانه، لارتحت.

- هكذا تنتهي.

- أليست النهاية نوعٌ من راحة؟

- منطقاً، لا، عاطفياً، نعم.

- هــه، تناور؟

- لا، لكني أحاول استخدام ذات المستوى كي لا نختلف.

- على العكس، قد نكون على ذات المستوى ونختلف، الاختلاف لا يعني الاختلاف.

- لا أريد الدخول في دائرتك. أخافُ الضياع.

- أي دائرة، الضياع ما أنــا فيــه، أمســكها بيــدي، ولا أجــدها. أحسها، ولا أجد ريحها. أتنفسها، ولا أمتلئ. أي ضياع هذا.

- .....

- إن ما يحدثُ شيءٌ مختلف، لكن ليس بمعنى الاخــتلاف، كــأن نجيء من طريق مختلف. إنــه اخــتلاف مــن الــداخل، اخــتلاف لا

يخضع لتسلسلٍ نمطي، أو مسودة. إنه عمل يعتمد على ذاته ليطـور ذاته. هو عملٌ مختلف.

- .....

- ياللغة، التي تهرب مني، ولا أمسك بلجامهـا، فتطـاوع. رأسي يغلي، أحسه يزداد في حجمه، ولا أجد من اللغة ما يعينني، ولا أجـد خارج هذا الحوائط مخرجاً.

- صنعتها بيديك!!!

- صنعتها. أقمتها بيدي هاتين، وشغلت نفسي بها، حتى لم أعـد قادراً عليها.

- حاول

- فات زمن المحاولات، لم تعد تجـدي. ولا وقـت. سـأحفظ مـا يمكنني للبقاء. حتى ولو كان الصراخ كل ما أستطيعه.

- أيصل؟

– سأرفعه أكثر ما أستطيع. فالسماء لن تضيق عنه، ولا السحاب يحبسه.

– .....

– .....

تقولُ الحكاية، إن عصفوراً كان عند الحافة، حفظ الدعاء، وحمله إلى شجرة قريبة، حفظته، وسارت به إلى نخلة مجاوره، أنزلتهُ بئراً، جرى ارتواءً وسواقياً، وفي أول صلاة جامِعة، سقط.

طرابلس: 20-03-2011

طريق

- إلى أين ستنــتهي؟

- الطريقُ مازالتْ.

- إلى متى؟

- حتى تنــتهي.

- لكني لا أرى لها من نهاية!!!

- سأستمر، لا بد من نهاية.

- وأين هي؟

- ربما بعد خطواتٍ أو ألف، وحتى ألفَ ألفِ خطوة.

- تعاند؟

- لا، لكني أحاول الوصول.

- تكابر!!!

- ولا هذه، هو الطريق، بدأتهُ مؤمناً بوصولي. وسأصل.

- قدر!

- أقدارُنا مكتوبةً في السّماء. وعلى الأرض، نحنُ من نخـتارُ سبيلنا.

- واخترت؟

- نعم، اخترتُ هذه الطريق، وأنا ماضٍ.

- والشوك؟

- سيكون حالةً مختلفةً للوجعِ.

- والدم؟

- سيكون الصبحَ الذي ينتظرني في نهاية الطريق.

- .....

- .....

حظك اليوم

تسير الأمور على خير ما يرام.

لا شيء تغير، باستثناء أوراق النتيجة التي يسحبها بشكل روتيني كل يوم. كان قد علقها قريباً من المرآة الوحيدة، المجاورة لباب البيت، يطالع صورته، هي ذاتها، لا شيء يمكن إضافته، ولا ما يستطيع .

يسحب ورقة، يمرر سبابة يمناه على المفتاح الكهربائي الوحيد، يغلق الباب خلفه.

عندما يكون وصل الدورُ السادس، يقرأ الحكمة المكتوبة أسفل التاريخ (حكمة اليوم: دع الخلق للخالق). عند الدور الثاني يقلب الورقة ليقرأ (حظك اليوم: الفرصة مواتية لتحقيق إنجاز مادي كبير).

عند المدخل الرئيسي، يكون قد كور الورقة بين أصابعه، وبمهارة لاعب سلة محترف، يرميها عبر السياج الحديدي لصندوق القمامة.

عند نهاية الشارع السادس يرفع رأسه ملتفتاً، محاولاً تمييزاً ما يمكنه من مسكنه .

يستمر، لا شيء تغير، يصل البوابة يسلم على زميله، ويودعه. يسحب الكرسي إلى ظل المحْرَس، يجلس، يطالع السيارات، يراقبها تغادر، يراقبها تدخل. لا شيء تغير منذ عشر سنوات، الأحلام في ظل المحرس هي ذاتها داخله .

حقل زله: 10-04-2012

زهرة سرقت رائحتها

كنت أميناً. لم أفكر لمرةٍ واحدة في أن أقوم بفض الورقة المطوية التي كنت أقوم بتسليمها عند بداية الشارع. ولم أحاول لمرة واحدة، أن أنظر في وجه الشاب الذي كان يتسلمها مني.

كل ما أذكره عنه، حذاءهُ العسكري اللامع وبدلته الخضراء، ورأسه الحليق الذي كان يبدو كرويا وأنا أنظر إليه وهو يغادر.

تنادي بهمس. وتكلمني بهمس. كلماتها دافئة وهي تمس خدي مخافة أن يسمعنا أحد، ثم تدس أصابعها في شعري:

- سلم أوخيي[1] .

جميلة، يانعة، مرحة. كانت ابتسامتها ترسم قوساً حاداً عند طرفي شفتيها، وتخفي عينيها في استدارة وجنتيها. رائحتُها الزهرية تجعلني أسيرها، وشعرها الداكن يختبر ذكائي كيف يختفي تحت التستمال[2]. لم أمل لحظة النظر إلى وجهها، حتى وهي حزينة.

في المدرسة كنت أراقبها وهي تتخذ ركنا بعيداً عن بقية المدرِّسات، تراقب المشهد من خلف النافذة ولا تخرج عن سكونها إلا عندما تدب مشاجرة ما بين تلميذين في الساحة، أو انطلاق الجرس معلناً نهاية الاستراحة. كانت ألطف مدرسة، أحبها الجميع دون استثناء، وكنتُ أكثرهم وأكثرهم حظاً، كوني كنت رفيقها حتى البيت.

لم تحب يوماً الحديث عن الدرس ونحن في طريق العودة:

– خلاص.. توه ارمي كل شي ورا ضهرك.. وما تفكرش في حاجة إلا بعد ما تتغدى وترتاح.

كانت في بعض الأوقات وعندما تتأكد أن لا أحد، تترنم بأغنية لم أفك شفرتها إلا متأخراً (خطم حفني شيع عيونه فيا/ سلمت ما رد السلام عليا...)[3]..

يأسرني صوتها، لأفيق على يدها تدسُّ شيئا:

– سلم وخيي.

فأنطلق مسرعا من فوري حتى بداية الشارع، أنتظر كثيراً. يقف أمامي. ينتهي نظري عند حذائه اللامع ليغادر سريعاً.

***

كُبرتُ وكبُر كل شيء معي. إلا هي، توقفت صورتها عند دخولي الجامعة. لم يعد من السهل زيارتها إلا صدفة في الشارع. دخلتُ كلية الطب لأنها كانت تتمنى ذلك:

- دوره.. تكبر ونشوفك[4]دكتور.. ولما نمرض نجيك وتعايني[5].. وتعطينى الدوا بالبلاش.

***

كُبرتْ. في غفلة نسيتها كما نساها الزمان.

خرجتُ، تركت الشارع خلفي، ذلك اليوم بكت وهي تودعني، كان وجهها مختلفاً، وإن احتفظ ببعض الألق، كأنها وردة تستعد لطرح بتلاتها. همَست:

- سأعود.

ترقرقت في عينيها الدموع. حضنتني لأول مرة، همست:

- ولّـيلي [6] .. ما تنسانيش.

***

الزمنُ مر بطيئاً، حاولت بسرعة رسم أقصر الطرق للوصول، والعودة.

أقف الآن عند عتبة بيتهم، أحمل في يدي قلبي، وبعض الهدايا. تأخر فتحُ الباب، وعندما هممتُ بمعاودة الطرق، سقطت يدي، طالعتني من شق الباب، وحالما تبينت شخصي، شدتني إلى الداخل:

- ما نسيتنيش.. سلم وخيي.. مازال يتفكر في "زُهرهْ".

- ومن ينساك يا غالية.

كان المنزل فارغاً، إلا منّا. حكيتُ لها كل شيء، عن البرد والدراسة والعائلة:

- وخيرك ما جبتهمش [7] معاك.

- المرة الجاية.. نجيبهم وباش تشوفي "زُهرةْ" قداش تشبهك.

- قصدك؟

- إيه.. سميتها "زُهرةْ" على اسمك.

- .....

- باش ديما تقعدي في بالي.

***

في يوم سألتني زوجتي: من هي "زُهرةْ"؟

صمتّ، لم يكن سؤالاً صعباً، إنما ليقيني بعجزي عن التعبير، وإدراكي بنفاد قاموسي قبل نهاية الحكاية، وبدأت.

علقت زوجتي بعد ساعة:

-مسكينة!!!

تابعت:

-نعم مسكينة، لم تهنئ بِزوجها، أتذكر كيف وقفت على الباب باكية. وهو يركب السيارة تلبية لنداءٍ عسكري، أخذَ معه كل الشباب. رافقه خمسة شباب من حينا. كنتُ قد أكملت الابتدائية وكان صيفاً حاراً. بعد حوالي ثلاثة أشهر وصلنا الخبر.

وقفت سيارة عسكرية نزل منها جندي قام بإنزال بعض الأشياء، وحال خروجه شق الفضاء صوتها حاراً. ومن وقتها لم تعد "زُهره" التي نعرف. عند نهاية القصة وجدت زهرتي تنام في حضني. ساكنة، طبعت قبلة على جبينها. سألتني:

- ما كان اسمه؟

- عبدالله.

أشارت لبطنها المنتفخ وابتسمت، فابتسمت.

(ما بين طرابلس وحقل آمال. على ارتفاع 29 ألف قدم: 2012-12-02)

1- أوخيي: تصغير مفردة (أخي) بلهجة أهل طرابلس.

2- التستمال: منديل الرأس.

3- خطم حفني: من الأغاني الليبية القديمة، غناء "محمود الشريف".

4- نشوفك: أراك.

5- تعايني: تعالجني.

6- ولّيلي: أرجع لي.

7- جبتهمش: أتيت بهم.

تغيير

لم أحاول أن أمد يدي.

اكتفيت بمراقبتِهِ وهو ينغمسُ في هدوء. ليختفي ثم لتغطي بقعةٌ زرقاء المساحةَ حولهْ. كنت وصلتُ للتو، لم يكن ما يؤخرني غيرَ تلك الفكرة المجنونة، أن أفرغَ حاجتي لحظة أن جاءني الهاتف عند ذروة السُّمو.

اكتفيت بالمراقبةِ، بينما أسحبُ الخيطَ السّحابي الأبيض إلى صدري في بطءٍ متعمد. ومتعمداً عدلتُ جلستي حتى يمكنني الاستمتاعُ أكثرَ، وهو يُسرعُ في إطلاقِ كلماتهِ، صارخاً.

اكتفيت من المشهد، بمكاني المُرتفع، وقدرتي على منحِ نفسي الفرصة في عدٍّ من تحلَّق حولَ البقعةِ الداكنة، وإغراق المحيط بهمهمة، وضجيجٍ متخالف الإيقاع.

اكتفيتُ بمتابعتهم، وهم ينفضون، ويتركون البقعة الزرقاء، الباهتة الآن، تتسع أكثر. شيء واحد فقط أحزنني في هذا المشهد، وجعلني أحس بعجزي. سقوطُ شبشبي، ومراقبتي له وهو يتبعُ موجة زرقاء باهتة باتجاه الأفق.

طرابلس: 2013/05/02

عصفـور

(1)

"يحيى" يدخلُ فرحاً:

- عصّور*.. عصّور.. عصّور.

كان علي تولي المهمة، ومرابة القفص المعلّق عند الشرفة، تفقدِ الماء والطعام والتنظيف.

(2)

لم أغرم بالعصافير، كنتُ أحب رؤيتها فاردة أجنحتها في السماء، معربدةً، مغردة، زاعقة، لا تحطُ حتى تنطلق في ملكوت الله.

(3)

بيتُ جارنا مهرجان زقزقة.

أراقبُ كل يوم كيف يكبر، وكيف تضيقُ مساحة الشرفة، وكيف يستمتعُ هو بمذاق القهوة مستنداً على حافتها.

(4)

الحصيلةُ عشر. جمعها في كيس بعد ذبحها على شريعته بسكينٍ صغيرة. عند حافة الموقد، مدّ لي إحداها:

– خذ، مذاقها جميل.

لم تطاوعني يدي، راقبته وهو يبتلعها واحداً تلو الآخر حتى أتى على آخرها:

– ضيعت على نفسك مذاقاً مميزاً.

(5)

يستقبلني "يحيى" عند الباب:

– عصّور بح. ثم يركض باتجاه حديقة المنزل.

عند الدرجة الأولى كان القفص فارغاً، رفعت رأسي للأعلى وأصغيت السمع جيداً. كان صوتُ العصافير مختلفاً. زاهٍ.

سماء ليبيا- على ارتفاع 18 ألف قدم.

❋ عصور: عصفور.

رجـاء

-لم يتغير شيء.

تعرف أني لست بكاذب، لكن شيئاً بداخلها لا يريد التصديق. لذا ورغم معرفتي بحاجتها لي، وانتظارها الذي تتقلب فيه على جمر الرجاء، قررتُ أن تكون زياراتي متباعدة أكثر.

في كل زيارة، كان الحديث يبدأ من ذات المبتدأ، أمنحه خبره الأول، وأترك لها البقية. لم أمل حكايتها، أبداً، بل على العكس، كنت أجلس بجانبها محاولاً القبض على تفصيلة هاربة، أو شخصية وقعت عن سبيل السرد، بينما صوتها يحافظ على إيقاعه الثابت.

كان اللقاء يبدأ حال دخولي، بابتسامة، أجدها أكثر إشراقاً في كل مرة، ثم يأتي فنجان القهوة (القد قد)[1]، وقطعتي كعك مالح، لمعرفتها بتفضيله عن الحلو، ومع رشفة القهوة الأولى أنتهي من خبري، الأول، وتبدأ هي.

وكما في كل مرة، بعد ساعة، تقوم لترفع القهوة، وتحضر شيئاً لأكله، وفي العادة يكون خفيفاً، ومما تخبزه، وفي الغالب فطائر محشوة، مثلثة الشكل، ذهبية اللون، تسبقها رائحتها، شهية ومقرمشة. حيث تعيد تشكيل خيط الحكاية وهي تمد أول قطعة:

-هي مد إيدك.. تفضل.

ألفت الحكاية. عشقتها، أدمنتها، وصرت في كل مرة، أبتكر حيلاً أوازي فيها مسارب السرد، فتارة أسرج خيولي في سهول الحكي، وتارة أشرع جناحي، وأخرى أكون البطل، بطلها.

*

-لم يتغير شيء.

تقولي لي، إن الانتظار أتعبها، وهي تخاف أن تلحق به، قبل أن يتحقق حلمه، حلمها .

-كيف؟، أكثر من ثلاث سنوات، وما صار شيْ.

أصمت. فالإجابات التي أملك لن تزيدها إلا حزناً، وهماً وغماً، وشعوراً بالخيبة والإحباط. عندما كانت تخرج للشارع مستفسرة عن أصوات الفرقعة، يجيبها الجيران:

-هذا عرس في الشارع التاني، والشباب يطلقوا في الألعاب النارية.

فكانت تبتسم:

-إن شاء الله ديما أفراح، وعقبال الشباب كلهم.

*

-لم يتغير شيء.

لكنه يوم (20 رمضان)[2]، أخبرها إنه خارج للتغير، ولرفع الظلم، ومحاربة الطاغية، وأنه وأصدقائه، كانوا في انتظار هذا اليوم طويلاً، وأن النصر صبر ساعة، والعيد سيكون هذه المرة مختلفاً، لأنه سيستمر.

-في حفظ الله يا وليدي. رد بالك على روحك، وخليك مع اصحابك.

كانت ترفع صوتها، لتغلب صوت الرصاص، ولكي يصله .

*

وكأنها مؤقتة. مع وصولها لنهاية الحكاية، يكون صحن الفاكهة قد حضر، حيث أعرف أنها تريد الهروب من خاتمة الحكاية، في تفاصيل التقطيع والتقشير والتقديم، قبل أن تقول جملتها:

-الله غالب.

أرد بتقريرية:

-الله غالب.

أجمع ما وصل مني، أميل عليها:

-ربي يحفظك.

عند نهاية الشارع، تقابلني جملة خطها شباب الحي: شارع الشهيد "محمد عبدالله."

طرابلس: 28-7-2015

ارتفاع: 30000 قدم.

1- القد قد: أي قهوة معتدلة الحلاوة.

2- 20 رمضان، الموافق 20-8-2011 انتفاضة طرابلس وتحريرها.

رامز رمضان النويصري.

www.ramez-enwesri.com

ـ عضو رابطة الأدباء والكتاب-ليبيا

ـ عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب

مجالات الكتابة:

الشعر/ القصة / المقالة / القراءة النقدية.

ترجمت مجموعة من النصوص إلى الإنجليزية/ الفرنسية/ الإيطالية/ الإسبانية.

الإصدارات:

- قليلاً أيها الصخب (شعر)/ أفق (إلكتروني)/ 2003.

- مباهج السيدة واو (شعر)/ منشورات مجلة المؤتمر- طرابلس/2004.

- بعض من سيرة المشاكس (شعر)/ دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان - بنغازي/ 2004.

- فيزياء المكان (شعر)/ اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام- طرابلس/ 2006.

- قراءات في النص الليبي-الجزء الأول (نقد)/ مجلس الثقافة العام- بنغازي/ 2006.

- قراءات في النص الليبي-الجزء الثاني (نقد)/ مجلس الثقافة العام- سرت/ 2008.

- النافذة (شعر)/ بلد الطيوب (إلكتروني)/ 2010.

- بلاد تغار من ألواني الزاهية (شعر)/ مؤسسة الكلمة نغم- مصر/2012.

- في اقتناص القريب (نقد)/ مؤسسة الكلمة نغم- مصر/2013.

مشاركات:

- من السطر الأول للرواية الليبية/ إعداد: صلاح عجينة/ دار أنامل/ 2004.

- الشعراء الشباب (ديوان جامع)/ دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان - بنغازي/ 2005.

- نصوص عربية من المحيط للخليج-قصص قصير (مترجم إلى الفرنسية)/ نتيا/ 2005.

- قصائد تضيئ الطريق من طرابلس إلى القاهرة – أنطولوجيا قصيدة النثر في ليبيا/ إعداد: حواء القمودي الحافي/ مؤتمر قصيدة النثر المصرية/ 2018.

المحتويات

الإهداء..... 3

تقديم..... 5

حكاية كرسون..... 15

ثمة وردة حمراء تنمو في شفتيك..... 21

قصاقيص..... 25

من حكايات روز..... 29

صورة حقيقية..... 39

عندما يهاجمك الضجر يبدأ الفراغ في التشكل..... 49

لا يهم ألا تأتي الأشياء..... 53

في النفس شيء من حتى..... 57

عن الشيء الذي أعرف..... 65

محاولة للوقوف..... 69

صوت..... 75

طريق..... 79
حظك اليوم..... 81
زهرة سرقت رائحتها..... 83
تغيير..... 91
عصفور..... 93
رجاء..... 97
التعريف بالكاتب..... 103